الموسوعات وأهميتها في التطور الثقافي والعلمي

للأستاذ عبد الله بن حمد الحقيل

الموسوعات ودوائر المعارف هي خلاصة جهود العلماء والباحثين وتبين ما بذله أولئك من عطاء في مختلف ألوان العلوم وضروب المعرفة وصنوف الثقافة ، وهي دليل على اتساع آفاق المعرفة في كل اتجاه كما أنها تقوم بجمع وحصر المعارف المتجددة ، فهي ثمرة تجربة متميزة ومن المصادر الأساسية للعلماء والباحثين تضافرت عليها جهود العديد من العلماء والمفكرين بعد دراسات مستفيضة .

وللموسوعات أهمية عظمى ودور بالغ في التطور الثقافي والعلمي وللباحثين الذين يسعون إلى الدراسة العميقة المستوعبة بل هي من الركائز المهمة للنهضة والمعرفة لأنها تتسم بالشمول والإحاطة الدقيقة بكل جوانب وأبعاد الموضوع محل البحث والدراسة، وعمل الموسوعات يحتاج إلى جهد شاق وعمل متواصل ونشاط فعال يتميز بالدقة والبحث ووضع الإطار السليم للتنفيذ لأنها تقدم للباحث والدارس ما يريد أن يصل إليه ويتعرف على جوانبه وتفاصيله . . وقد تبين من الدراسات التي تناولت هذا الجانب أن عمل الموسوعات يطول مداه، وربما تطوى فيه أعمار دون أن تدرك غايته ومنتهاه، ومن أجل ذلك فلا بد من تقدير وإدراك الأبعاد المتعددة وتجميع المعلومات والدراسات وتحديد أهداف العمل من خلال البحث ووضع الخطط اللازمة لذلك، ورسم إطار التنفيذ . .

ولتحديد مفهوم الموسوعة على مصنف ما فلا بد أن يكون ذلك المصنف جامعا شاملا لكل مصطلحات المعارف الإنسانية، أو على الأقل شاملاً لأكبر مجموعة منها، بمعنى أن يكون ذلك المصنف شاملاً للتعاريف والمصطلحات لكل المعارف والعلوم والفنون والآداب التي تتداولها الأمم والشعوب في مراحل تاريخها وحضاراتها وهذا يتطلب المتابعة المستمرة والسريعة لملاحقة ذلك التطور المذهل في شتى فروع المعرفة والعلوم.

وبهذا المفهوم فإن الموضوعات أشمل في موضوعها من المعاجم وأوسع إطارًا؛ ذلك لأن المعاجم تقتصر في منهجها على توضيح مصطلحات وتعاريف علم معين دون غيره من العلوم كمعاجم البلدان أو اللغة أو التاريخ . .

أما الموسوعة فهي تقدم للباحث زادًا موفوراً من المعرفة وقد تغني القارئ عن السعي إلى الحصول على مراجع أخرى لاستكمال معرفته بها . . .

ولكي تكون الموسوعة هدفا للعلماء فلا بد من جهد علمي صادق وبحوث ودراسات متواصلة إلى جانب شمولها لروافد المعرفة والمتابعة المستمرة والسريعة لملاحقة ذلك التطور العلمي ورصده وتسميته ومراجعته من قبل الباحثين، ولقد صدرت في الأعوام الأخيرة الكثير من دوائر المعارف والموسوعات في موضوعات متخصصة وتتميز من بينها دائرة المعارف البريطانية . . ودائرة المعارف ماكجروهيل .

وسوف يتوالى صدور العديد من دوائر المعارف المتنوعة حيث برزت حركة موسوعية في العالم العربي في مصر ولبنان تحرص على العناية بالتراث العربي الإسلامي في شتى الميادين، ولقد سبق أن ألف أسلافنا كتبا عن الأدب وأخرى عن اللغة والتاريخ بشكل موسوعي كما هو في كتب الجاحظ والقلقشندي وبن منظور والنويري وبن النديم وبن حزم وأصحاب كتب المعاجم وأعلام الرجال .

ولقد أخذ العرب يحاولون اليوم أن يأخذوا دورهم في اللحاق بالركب، فبدأت مجموعة من العلماء في نهاية القرن الماضي في التأليف على نمط دوائر المعارف كدائرة المعارف التي أصدرها البستاني، وواصل أبناؤه من بعده إصدارها . . ودائرة معارف القرن الرابع عشر لمحمد فريد وجدي وأحمد زكي باشا، حيث أصدرا موسوعة العلوم العربية وقد طبعت في مصر عام ١٣٠٨هـ .

كما أن المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم تزمع إصدار الموسوعة العربية الكبرى . . وكذا المجمع العلمي الأردني يعتزم إصدار موسوعة الحضارة الإسلامية وتراثها وكذا الموسوعة العربية في سورية وغيرها . . وتقديم ذلك تقدمة علمية ومنهجية . .

وفي سبيل تحقيق الأهداف العلمية وبلادنا اليوم يتوافر فيها بفضل الله خيرة الأساتذة والباحثين ممن هو قمين بالعمل في هذا المجال ولتحقيق الأهداف المرجوة

فكم يكون جميلاً ومناسبًا وضع دراسة لإنشاء دائرة المعارف العربية الإسلامية بحيث تكون شاملة ومستدركة ما فات مع الانتفاع بآراء الباحثين ووجهات نظرهم مما استجد من المعارف والعلوم ولكي تصدر متكاملة أو قريبة إلى الكمال فلا يؤمن تقويمها بالنقد و إثرائها بالمراجعة والبحث والتّوجيه والتوجيه حتى تخرج متميزة ومتفردة وتختلف عن غيرها من المعارف بحيث تتسم بالموضوعية والاهتمام بالإطار العلمي للموضوع .

وندعو الله أن يعين الجميع على تحقيق هذا الهدف العلمي العظيم فما زال الفراغ في المكتبة العربية قائما والحاجة ماسة إلى دائرة معارف يكتب مادتها علماء متخصصون في شتى فروع المعرفة والحضارة العربية الإسلامية وتراثها الغني الغزير .

وهذا ولا شك يستدعي التعاون، وتوثيق الصلات مع أقطار العالم العربي والإسلامي والأجنبي لتحقيق دائرة المعارف، بحيث تولي اهتمامًا خاصًا بالحضارة العربية والإسلامية ، ومن شاركوا في ازدهارها ولتقدم روائع المعرفة وخلاصة البحوث العلمية المتعلقة بالحضارة العربية والإسلامية . . وتحقيق الرسالة التي اضطلعت بها هذه البلاد وهي الاهتمام بالتراث الذي هو حصيلة فكر الأمة وتجاربها وتاريخها والعمل في هذا الميدان وفاء للأسلاف وإحسانا للأجيال اللاحقة وبذلك تكون عونًا لجمهرة المثقفين ومرشدًا وخدمةً للعلم وإثراءً للمعرفة ومعطيات تراثنا العربي والإسلامي المجيد وما يحفل به من الكنوز الثمينة في شتى حقوله المعرفية وإثراء الساحة الثقافية بكل مفيد . .

حقق الله الآمال ووفق الجميع .